



الله معنا

ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . (مت ١ : ٢٢) .



”التيه طارجيا“
يو ١٤

مريد عبد المنعم

يوسف حبيب



حضرة صاحب القداسة البابا المعظم الانبا كيرلس
بابا و بطريرك الكرازة المرقسية



الله معنا

• لكنه أخلى ذاته صامراً في شبه الناس
• وإذا وجد في الهيئة كإنسان . . .

في ٢: ٨١٧

• عظيم هو سر القوي الله ظهر في الجسد . . .

١ تيمو: ٣: ١٦

• .. كان الكلمة الله .. والكلمة صار جسداً . . .

يو ١: ١ - ١٤

• .. يدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . . .

اش ٧: ١٤

مقدمة

نقدم هذا الكتيب الصغير مقتطفاً من أقوال القديس
فم الذهب ، في شرحه على انجيل متى البدير ، وقد أضفنا إليه
بعض اضافات بسيطة وجدناها لازمة من أقوال أغسطينوس ،
الإنبا بولس البوش وسوف يكون هذا الكتيب إنشاء الله عينة
صغيرة لمجلد كبير شامل لميلاد رب المجد يسوع من أقوال القديسين
يحمي جوانب متعددة عن الموضوع نسال الرب أن يجعل هذا
الكتيب بركة لنفوسنا آمين ؟

.....

مصادر لهذا الكتاب :

(١) مجموعة : . . *Nicene & post-Nicene Fathers*
First series (Vol X)

(٢) كتاب « مواظفم الذهب عن الميلاد - ترجمة

الارشمندريت الكسيوس شتوي » .

(٣) مبصر ، ذهي الفم عن اسرار الميلاد ، دير السريان .

إلى مدينة الملك العظيم !!

... ما أنا أميركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعب لأنه ولد لكم اليوم في مدينة داود عيسى هو المسيح الرب . . .

لو ١٠: ٤

بخطابنا القديس يوحنا تم الذهب وثلاث:

لنستمر للرفول

لنستمع إلى موضوع الميلاد منذ اليوم بإصغاء كثير ، لأننا بذلك سندخل إلى المدينة المندسة . . . وقد أرشدنا الإيجلي من إليها . . . لنفتح أعيننا ولنزحف آذاننا إذ نحن مزعمون أن نطأ عتبة الباب ، فليسجد لذلك المقيم هناك وذلك لأن النظرة الأولى إليه بوسعها أن تلتقي الرب في نفوسنا . . .

كيف نستمر للرفول ؟

إن كان اليهود القدماء قد تقدسوا ثلاثة أيام وبيضوا ثيابهم ووقفوا بخوف ورعدة استعداداً لقبول الشريعة . . . فكم بالأولى

بناسم نحن الآن أن نستعد للدخول إلى مدينة الله ذاتها ولسماع كلمته . . . أيقظ الآن ذمعتك وارهب حينها تسمع أن لها أفي لك الأرض ! لقد كان هذا الحادث من الغرابة والمعجب حتى وقفه الملايكة أجواقاً وجعلوا يفشدون تسابيح الشكر ، والمسكونة كلها اندهشت عندما نظرت هذا المر وسبقها في هذه الدهشة الانبياء الذين أدركوا بالروح هذه الحقيقة . . .

لقد حل الإله المساوي لآبيه في الجوهر في أحشاء عذراء ورضى أن يولد من امرأة وأن يسكن (داود وإبراهيم) جدين له ليملك (إبننا لله) .

ويكمل القديس أغسطينوس وثلاث:

لنؤمن ونعترف . . .

تعال معي إلى الميلاد الآخر (أي غير الميلاد الأزلي) ، الميلاد البشري ، تعال معي إلى ذلك الميلاد الذي فيه ، أخلت ذاته آخذاً صورة عبد ، (في ٢ : ٧) .

فانظروا ماذا كنا نستطيع أن نفهمه أو ما إذا كنا نستطيع أن نقول عنه شيئاً . . .

فإن كنا لا نستطيع أن ندرك ميلاده البشري ، فكيف

البشارة بميلاده العجيب

يقسام فم الذهب : لماذا بشر يوسف بعد الحمل ؟
ويجب قائلا : يبدو أن الملاك سكت أولا عن إخباره
بذلك إلى أن يتم الأمر فعلا ويقع تحت حواسه ، حينئذ يسهل
مصدقته . كذلك لم يعلمه بذلك خشية أن يمتنع عن التصديق أولا
فيحل به ما حل بـ زكريا والد يوحنا المعمدان قبله .
وبنفس الطريقة أيضا صمت العذراء عن إخبار يوسف
خشية أن تثير غضبه وتبدو كأنها ارتكبت إثما أرادت
إخفائه عنه .

لماذا لم يظهر له الملاك علنا ؟

لقد كان إيمان هذا الرجل قويا ولم يحتاج إلى هذه الرؤية
العينية مثل الرعاة بل اكتفى بالرؤية في حلم .
وقد ظهر الملاك للعذراء لأنها كانت مقبلة على سماع أمر عظيم
يفوق البشري فاحتاجت إلى مشهد عجيب .

وإن سألت : كيف كان لهذا الرجل أن يصدق قول الملاك له

يستطيع إدراك ميلاده الإلهي . . . من يستطيع أن يدرك أعجوبة
الاعاجيب هذه : عذراء تحمل عذراء تلد عذراء تبقى عذراء
بعد الولادة !!!

لكن مالا يستطيع العقل أن يفهمه يستطيع الإيمان أن يدركه
وحيثما يقف العقل فإن الإيمان يتقدم . . .



في حلم ١٤ نجيبك بأن ذلك لعدة أسباب :

١ - كان هذا الإعلان برهاناً لما قيل له ، لأن ما أخفاه في نفسه ولم يقله لأحد من الناس بل افكر به ، هذا سمعه عن الملك فزال ارتياحه ، إذ كشف له الملك سريره . .

٢ - حين جاء إليه الملك قال له ، يا يوسف ابن داود . . . فذكره في الحين بـداود الذي منه أزمع المسيح أن يولد . . . وإلا لما دعاه بهذا اللقب (ابن داود) ١٤ .

٣ - لما ذكر اسم (مريم) أضاف (امرأتك) . فلو كانت قد إنفست ما كان قد دعاهما بهذا الاسم . وقوله « امرأتك » معناه (خطيبتك) على حد ما اعتاد الكتاب أن يدعو المخطوبين قبل العرس (أنظر تث ٢٨ : ٣٠ ، لو ٢ : ٥) .

† † †

نسب المسيح لداود

(ويدهاه الرب الإله كرسى داود أبيه)

لو ١ : ٣٢

لماذا لم ينسب للعزراء من حيث أمها منه نسل داود (١)

يجيب فم الذهب قائلا :

ينبغي أن تعلم أن الشريعة اليهودية تمنع احتساء نسب المرأة ، ولم يحاول الإنجيلي حتى أن يخالف هذه المادة خشية أن يهتم بالتجديد ، فاحترم هذه التقاليد لكي ينفي عن كلامه كل شبهة .

لذلك : أعصى نسب يوسف مع أن المسيح ليس من نسله

فهو لو سمعت عن ذكر نسب يوسف لما عرفنا أجداد البتول . . . ومن جهة أخرى إن الله لم يشأ أن يعرف اليهود حين

(١) إن العزراء من نسل داود وذلك لأن للملاك أرسل (إلى عزراء مخطوبة لرجل من بيت داود وقبيلته) (لو ١ : ٢٧) ، والشريعة لم تكن تحيز لأحد أن يأخذ له زوجاً من غير قبيلته (عدد ٣٦ : ٨ ، ٩) إذن ما ينطبق على العزراء ينطبق على يوسف أيضاً من جهة النسب . هكذا دليل آخر ذكر في (لو ٢ : ٤ : ٥) .

ولد المسيح أنه ولد من عذراء ، ولا تضطربوا من غرابة ما أقول
 لأن هذا القبول ليس من بل نقلته عن آباءنا أولئك الرجال
 الجديرين بكل احترام ، فإذا كان الرب نفسه منذ البدء يلقى
 ستاراً من الظل على حقيقة طبيعته داعياً ذاته (ابن الإنسان) ...
 أفيد بمشكم أنه أراد أن يخفي تلك الحقيقة بتدبير خطير وغريب ؟
 ألا وهو حماية العذراء وجعلها بمنجي عن كل ريبة مخزية ، لأنه
 لو عرف اليهود منذ البدء ذلك السر لمكانوا أساموا تفسيره
 ليتخذوا من ذلك سبباً للحكم على البتول ورجحها كزانية .



ولادته من عذراء

أولاً : لماذا ولد من امرأة ؟

يقول القديس ذمى القم :

« مولوداً من امرأة ... » (غل ٤ : ٤) هكذا يقبول
 الرسول ليبيكم أفراء الذين يقولون أن المسيح مر في العذراء مزور
 المياه في الأنبوية . لأنه إذا صح ذلك فالحاجة إلى مستودع
 امرأة !! وإذا صح ذلك فليس من شركة بيننا وبينه ، بل كان
 جسده جسداً آخر ومن أصل آخر ! .

ويورد القديس أغسطينوس تأملات في ذلك قائلا :

« إن بميلاده من امرأة أراد أن يعلن بعض أسرارها العلوية ..
 وهو أنه ينبغي على كلا الجفسين - أي الذكور والاناث الأيأسوا
 من خلاصهم .. فبمجيئه رجلا ذن ولادته من امرأة ما يجعل
 النساء ييأسن من ذنهم فيتذكرون خطيئتين الأولى ... فكانه
 يخاطب البشرية قائلا : ينبغي أن تعلموا أنه ليس في خلقه الله
 شر ، أنظروا فقد ولدت رجلا وولدت من امرأة فإنني لا أحقر
 خليقتي بل أحقر الخطية التي لم أوجد لها !! »

ثانيا : لماذا دعيت العذراء امرأة ؟

ليس لأنها فقدت بتوليبتها ، بل لأن هذا التعبير (العذراء) غريب معروف في لغة شعبها ، والرسول يولس نفسه يقول (مولوداً من امرأة) . . . فن البرانية يدعون كل أن امرأة واوضح مثل لذلك : أن اول أن خلقها الله أخذ إياها من جنب الرجل دعيت أيضا امرأة قبل التقائها مع الرجل . . . لأن الكتاب المقدس يقول ، وعلمها الرب . . . لإمرأة ، وإن سألت : فلماذا يقول البشير ، لم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر ، مت ١ : ٢٥

يمينا لم الذهب ؟

ليس المقصود من قول الإنجيل « حتى » ، أنه عرفها بعد ذلك ، بل لنعلم أن البتول ليست بتولا بعد ذلك . فإذا إذن يقول هذا اللفظ (حتى) ؟ إن هذا التعبير يستعمله الكتاب المقدس مراراً كثيرة ولا يراد به وقت محدد . فقد ورد عند ذكر سفينة نوح أن الغراب لم يرجع حتى جفت الأرض ، (تك ٨ : ٧) مع أنه لم يرجع بعد ذلك مطلقاً .

وتكلم داود عن الله فقال ، أنت يارب منذ الازل حتى

الابد . . . (مز ٩ : ٢) والمقصود بذلك أنه إله غير محدود . . . (١)

أما ما يقصد الإنجيل أن يعلننا إياه فهو أن مريم بقيت عذراء حتى بعد الولادة .



(١) توجد آيات أخر كثيرة توضح معنى هذا اللفظ « حتى » منها :

« لم تلد بمكالم حتى ماتت » (٢ ص ٦ - ٢٣) « نهار ولدت بعد أن ماتت ١٩ لآلها أيضاً مات ٢٨ : ١٩ ، مر ١١٦ : ١ . . . » (٥)

تدعو اسم يسوع

كان اليهود يعرفون اسم (يسوع) (١) حق المعرفة : فيشوح خلف موسى أدخل الشعب إلى أرض الميعاد ، هذا هو الزمن فانظر إلى الحقيقة :

لأن ذاك قاد الشعب إلى أرض الميعاد أما هذا فإلى السماء لإملاك الخيرات الابنة . ذاك يخلف موسى وهذا يخلف الناموس .

ذاك قائم وهذا ملك ، وهناك فرق بين الاثنين لأن الثاني ابن داود . ولثلاثيختلط الايمان على اليهود اصناف من (يسوع المسيح) مت ١ : ١٨ . وربما تسأل :

لماذا لم يسم بحسب النبوة (عمانوئيل) ؟ (٢)

نجيب بأن النبي لم يقله ، وتدعوه عمانوئيل ، بل قال

(١) هو نفسه يسوع . هدف النقط التي تكثر كتشكيل فقط في العبرية .

(٢) تنبأ النبوة أشعيا النبي . ويدعى اسمه عمانوئيل . (اش ٧ : ١٤) .

و يدعى عمانوئيل ، أي أن الشعب فيما بعد سيدعونه هكذا . والحوادث المقبلة سوف تثبت له هذا الاسم .

لقد أعلن الملاك هذا الاسم (يسوع) من السماء مظهرأ بجملاء ما في هذا الطائر من عجب ، لأن اسمه عجيب (١) إذ أن الله نفسه وضع الاسم وملاكاً حمله إلى يروشليم قبله . . . ويفسر الملاك من الاسم فيقول : لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .

فهو يبشر الشعب بأنه سيخلصهم لا من حروب مادية كما كان في القديم بل من خطاياهم ، وهذا عمل خطير لم يسبق له نظير قديماً . ويلاحظ أن الملاك حدد قوله لأنه قال ، سيخلص شعبه ، ولم يصف إليهم سائر الأمم ، وذلك لكي لا يفاجئهم مستمعيه (من اليهود) بأمر لم بالغره . على أن المستمع المدقق لا يفوته أن لفظة (شعبه) تعني أيضاً الأمم .

أخيراً : نرى أن الملاك تحفظ جداً في كلامه ليوسف فغراه يقول : (ستلد ابناً) ولم يقل (ستلد لك ابناً) ، لأن هذا الابن سيولد للعالم أجمع وليس لشخص بعينه . وقد سبق أشعيا بالروح القدس وقال (يولد لنا ولد) أش ٩ : ٦ .

(١) أش ٩ : ٦ ، فس ١٣ : ١٨ .

ولدت في مدينة داود

وأنت يا بيت لحم . . .

لقد شهد الأنبياء أنه سيولد في بيت لحم (ميخا ٥ : ٢) .
فلماذا أقام في الناصرة بعد مولده ملقياً ظلالاً على النبوة ؟
يجيب تم الذم بقوله :

لأنه لم يلق عليها ظلالاً بل بالحري أبان الغامض منها . لأن إقامة
أمه في مكان ووضعها في مكان آخر لهما بين أولاً أن الأمر مذهب
من الله ، فلم يترك الرب بيت لحم فور مولده لكنه أقام فيها
أربعين يوماً (١) معطياً الوقت السكان الذين يريدون أن يدفقوا
في البحث عن جميع الأمور وخشيتة أن يتنذر اليهود بأنهم
لا يعرفون الزمان ولا المكان الذين ولد فيها لذلك جاء المجوس
وحدث ما حدث من عقد المجمع العظيم وقراءة النبوات وأمور
أخرى يذكرها القديس لوقا بدقة (مثل قصة حنة وسمعان الشيخ
وزكريا والملائكة والرعاة . . .) وهذا كله من شأنه أن يبيح
أسباب البحث عن الحدث العظيم . . .

(١) حتى عيد دخول المسيح الهيكل لتقديم الذبيحة الموسى عليها (اللا ١٢٦ : ٣٠) .

وإذا كان المجوس الذين جاءوا من المشرق لم يجهلوا مكان
ولادته فببالأولى المقيمون في المدينة كان باستطاعتهم أن
يعرفوه . . .

إن الرب أعلن نفسه منذ البدء بمعجائب شتى ولما لم يشأ اليهود
أن يروه إختبأ عنهم بعض الوقت (منذ طفولته حتى سن ٣٠ سنة)
ثم ظهر فيما بعد بأكثر إشرافاً من قبل ، وحينئذ لم يبشر به
مجوس ولا كوكب وإنما الأب ذاته أعلن البشارة من السماء
في الأردن حيث نزل الروح القدس واستقر على رأسه وقت
العهد جاذباً معه ذلك الصوت ، هذا هو ابني الحبيب الذي به
سرور . . .

يخرج من بيت لحم

أنظروا إلى دقة النبوة فلم يقل في بيت لحم سيقم المسيح بل
(يخرج) أي أن الولادة فقط ستكون في بيت لحم . . .
لقد بلغ الجهل ببعض اليهود أن يزعموا أن هذه النبوة تختص
بزور بابل - لكن قولهم هذا جعلهم يوقعوا أنفسهم في أشكالات
كثيرة . فلو أنهم تصفحوا النبوة وأنتموا قراءتها لوجدوها محمول
. ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل ، ميخا ٥ : ٢ .



النجس والمجوس

• ولما ولد المسيح في بيت لحم . . . إذا مجوس
 أتوا من المشرق إلى أورشليم قائلين : أين المولود
 ملك اليهود فإننا رأينا نجمة في المشرق وأبنا لنسجد له .
 مت ٢ : ٢ : ٢٩١ .

•••••

قبل يحق لزور بابل هذا ١٩١٠ . . . كما أن مولد زور بابل كان في
 بابل كما يتضح من اسمه .

لقد كانت بيت لحم غير مشهورة (صغرى) ولم يجعلها أحد
 شهيرة ومجيدة بهذا المقدار إلا المسيح وحده فمئذ ميلاده المجيد
 لم تفتأ الناس يقولون اليها من جميع العالم ليصاهدوا مكان المذود
 وهذا لكي يتم ما قيل . وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا أنت
 الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر رعى شعبي
 اسراييل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل . ميخا ٥ : ٢ .

❖ ❖ ❖

النجم يتقدم !!

قد ظهر أمامنا الشهيد الثاني من المدينة المقدسة : بحوس
يتبعون كوكباً يقودهم من أقاصي الأرض . . .

ودعنا تفهم هذه الأسرار الغامضة فيجددنا (ذمى الفم)
أولاً عن :

حقيقة النجم

يتعرض القديس لفكرة عاطفة أذاعها البمض في أيامه وهي :
أن ظهور النجم ودلالته على ميلاد ملك اليهود بالنسبة
للبحوس أمر يدل على صدق صناعة التنجيم !

ويرد القديس على هذا الزعم ثلاثاً :

• لو كان عند مجيئه إلى الأرض أخضع ذاته لتساموس هذه
الصناعة فلماذا أبطل مبدأ القدر ، وأبكم الشيطان ، وقضى على
السحر الذى هو ضرب من هذا النوع . . . ١٤ . . . كذلك كيف
عرف البحوس من ظهور هذا النجم أن المسيح كان ملك اليهود

ولم يكن لمملكته ملك (١) ولأن الرب نفسه قال بضمه الميارك
• مملكتي ليست من هذا العالم . . .

ثم أنه كيف عرفوا من هو المولود ؟

إذ ليس من خصائص علم التنجيم أن يعرف بواسطة النجوم
من هم المولودون بل يبيء كما يزعمون - عن مصيرهم منذ ساعة
ميلادهم فقط ! وهؤلاء البحوس لم يروا الأم عند وضعها ولا عرفوا
الوقت الذى ولدت فيه ولا استطاعوا أن يتخذوا لهم نقطة
بداية ليحددوا مصير الصبي وفقاً لحركات النجوم !

أخيراً : وهب أنهم عرفوا أن المولود إله فلاى غرض إذا
أنوا ١١٤١ هناك دليل آخر يمكن أن نستنتج وإن أردت أن تعرفه
تعال بنا تفحص حالة النجم ذاته . . .

ما هو هذا الكواكب ؟

هل كان أقل من سائر الكواكب الأخرى أو كان واحداً
منها أو أنه يختلف عنها جميعاً ؟ وإن اختلفت عنها فهل هو كوكب
وهى أم حقيقى ١٤ . لرجع إلى ما كتبه الإنجيل حيث يتضح من

(١) بقصد القديس هنا أن اليهود لم يكن لهم حينئذ مملكة قائمة بل
كان قد لاقى على آخر ملوكهم مئات السنين .

كلامه أن النجم لم يكن من جملة الكواكب وإنما كان قوة غير
منظورة قد اتخذت شكلاً منظوراً ويوضح هذا عما يأتي :

* سيره الخالص

فكان يسير من الشمال إلى الجنوب (لأن بلاد فارس تقع
في شمال فلسطين تقريباً) ولا يوجد كوكب يسير في ذلك الاتجاه
لأن جميع الكواكب بلا استثناء تسير من الشرق إلى الغرب .

* ظهوره نهاراً

فهو لم يرض في الليل فقط بل كان يرض أيضاً في رابعة النهار
الامر الذي لم يكن في وسع أى كوكب آخر حتى القمر نفسه
أن يعمله .

* ظهوره واقتناؤه ككوكب

فكان يظهر ويختفي على التعاقب فيظهر لهم في الطريق قائداً
ليام حتى فلسطين وقد غاب عنهم حينما بلغوا اورشليم ، ثم ظهر
لهم من جديد بعد ما تركوا هيرودس ، عالماً في كل شيء مقتضيات
السفر . فلم يكن له إذا سير محدد كباقي النجوم مما يدل على أنه
قوة عاقلة . ١١ .

* نوع ظهوره وطبيعته

لم يجعل النجم مكانه في الفلك وإلا لما استطاع أن يهدى
المجوس في الطريق ، فلم يكن كوكباً عادياً وإلا فكيف أرشدم
إلى كوخ حفير بأوى جسم صلب صغير - إذ لا يسمح العلو غير
المحدود أن يحدد مكاناً بعينه صغيراً !

يحتاج الامر إذن أن يترك الكوكب ذلك العلو وينزل إلى
أسفل ليقف فوق رأس الصبي وهذا بالضبط ما عبر عنه
الإنجيل بقوله ، فإذا النجم الذي رأوه بتقديمه حتى جاء ووقف
فوق حيث كان الصبي ، مت ٢ : ٩ .

† † †

مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ

(يقول الأنبا بولس البوشني عنهم : أنهم من بلاد فارس ومن سلالة بلعام العراف وكان عندهم كنيه التي يشرح فيها عبادته المزدولة وعلم تعبير السكواكيب (يهوذا ١١ : ٢٤ عدد ٢٢ : ٧) إلا أن هؤلاء المجوس رأوا وفهموا بعض النبوات عن المسيح ...) .

وأبنا نجر في المشرق

ربما يسأل البعض لماذا ظهر للمجوس دون غيرهم ؟ .

يجيب فم الذهب : لأنه ما كان ينتظر أن الجميع يصدقونه فكشف هؤلاء فقط لأنهم كانوا أكثر من غيرهم استعداداً لقبوله ثم يضرب أمثلة لذلك فيقول : إن أما كثيرة هلكت ولم يرسل يونات النبي إلا إلى أهل تينوى وحدهما ، ولصين كانا في وقت الصلب فخلص أحدهما وحده دون الآخر . . .

ثم أورد القديس أمثالا :

أنظروا كيف كشفت حادثة ظهور النجم للمجوس أضرارا عجيبة : إن الرب جاء إلى العالم كله يدعوهم إلى عبادته والسجود

الله ، ففتح لذلك الباب للأمم منذ البداية . فكان هذا الحادث يكشف عن قلة إحساس اليهود ويمدحهم كل وسيلة لتبرير ذواتهم بالتمسك ! لقد جاء الوثنيون من بلادهم البعيدة . ليبحثوا عن (المولود ملك اليهود) أما هؤلاء الذين كانوا يواظبون على سماع الانبياء ونبواتهم لا يعنون ما يقرأونه ! فأى عذر لهم حينما يرون المجوس يقبلون ابن الله المتجسد ويصدقون له بمجرد رؤية ذلك النجم !! لذلك قيل وجاء إلى عاصته وخاصته لم تقبله . . . يوحنا ١١ : ١١ .

الله بشرهم بنجم

(الله بعد ما كلم الآباء . . . بأنواع وطرق كثيرة)

عب ١٠ : ١

ربما تسأل : لماذا جذبهم الله بحادثه كهذه ؟

لكن - وهل من وسيلة أخرى غير هذه كانت تلائمهم ! فلو أنه أرسل لهم أنبياء لما احتمل المجوس تعليمهم ولو بعث بصوت من إغلا لصموا آذانهم ، ولو أرسل لهم ملاكاً لتحولوا عنه . . . فترك الله كل تلك الوسائل وتنازل بتعمته كل التنازل فأظهر لهم كوكباً عظيماً له طبائع مدهشة بطرق بالغومها ، فكان الله بشرهم بنفس صناعتهم . ولم تكن هذه أول مرة يتنازل الله ليكشف

للشجر بطرق يفهمونها (اقرأ حادثة قول العرافة لتناول الملك...
في ص ٢٨ كذلك كيف عرف الفلسطينيون إرادة الله في رجوع
تابوت العهد ص ٦٠٦ . وقد نسج بولس الرسول على هذا المنوال
في تبشيره لليونانيين (أنظر أع ١٧ : ١٦) . . .

فارتضى الرب أن يدعو المجوس بواسطة ذلك النجم لكي
يرقى بهم إلى ما هو أسمى لذلك نراه بعد ما قادم بالنجم وأخذ
يدهم ثم وقف بهم عند المذود لم يكلمهم بعد بواسطة كوكب بل
بواسطة ملاك . إذ أوحى إليهم في حلم ، مت ٢ : ١٢ .

وهكذا كانت النتيجة مشرفة فأصبح المجوس أفضل من كانوا
عليه ولذلك قيل ، أعط الحكيم حجة فيكون أكثر حكمة .
(أم ٩ : ٩) .

أتوا ليسجدوا له

(ولما جاءوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه . . .
فخرّوا وسجدوا له) . مت ٢ : ١١ .

ويندهش القديس فم الذهب قائلاً :

أي رمز من جميع رموز الملك رأوها ١٩ رأوا كوخاً

ومذوداً ، صبياً في اللعائف ، أما فقيرة ١١١ ولم يكن هذا هو
ما دفعهم المحيى ولا للسجود له .

فلو أنهم جاءوا ليسجدوا للملك لشعروا بخيبتهم حيناً رأوه
في هذه الرضاعة ، وهذا لم يحدث . . . وإن كان ملكاً فأى خير
كانوا يرجونه منه ؟

هب أنه ولد في قصر وكان أبوه الملك حاضراً لكان يمكن
أن يقال أنهم جاءوا استرضاءً لأبيه بتقديمهم الإكرام العاجل له
ولكنهم إذ لم يتوقعوا أن يصير ملكاً عليهم إذ أنه من أمة
غريبة وبلاده بعيدة عن بلادهم ولم يبلغ بعد حد الرجال لأنه طفل
فلاى سبب إذن قاموا بهذه الرحلة الشاقة وتمرضوا الأخطار
الكثيرة ١٩ هل كانت لهم شريعة تدعوهم إلى أن يكرموا الملوك
المولودين ١٩ (يبدو أن الأمر أعمق من هذا كله ويظهر أن هناك
سراً دفعهم أولاً إلى المحيى ثم للسجود للطفل) لذلك نرى
القديس يقول .

الله هرك فلوبهم

لم يكن النجم هو الذى جعلهم يهتمون كل هذا الإهتمام الكبير
فلا يعقل أن نجما قادم . . . وإنما الله هو الذى أنفض نفوسهم كما

فعمل مثل ذلك مع كوروش الملك حين استبحه أن يطلق اليهود
(عز ١ : ١) وكافل مع بولس حيث ناداه بصوت من أعلا
جملة بتأثر فأطاع لوقته (أع ٩) .

لماذا اغتنى عنهم النجم

قد غاب عنهم النجم حينما دخلوا اورشليم حتى إذ فقدوا
المرشد اضطرم هذا إلى أن يسألوا هيرودس الذي دعا اليهود
وسألهم (أين يولد المسيح) ؟
وبهذه الطريقة تجلت الحوادث بأكثر وضوح وأخذ المجوس
دروساً من نبوات الانبياء ...

تأملوا هذا المشهد كيف تدبرت أمور عجيبة وغريبة :
اليهود كانوا يسمعون من المجوس أن نجماً نادى بمسيح في بلاد فارس ،
والمجوس كانوا يقتبسون من اليهود المعرفة بالنبوات : أن هذا
الذي بشر به النجم إنما هو رجاا الأمم الذي تنبأت عنه الانبياء
قديما . . . وهذا كان كله لكي تظهر لنا معلومات أدق وأوضح
عن حقيقة ميلاد الرب العجيب . . .

بعد هذا عاد اليهم النجم مرشداً وكان يقودهم جاذباً إليهم كأنه
يأخذ بأيديهم في رابعة النهار . . .

ورب قائل يقول : ما الحاجة إلى النجم بعد ما عرفوا مكان
الضيعة من اليهود ؟ نعم - لقد كانوا محتاجين إلى النجم حتى بعدما
عرفوا القرية ، لأن البيت ما كان ذا شهرة واسعة والآن لم تكن
دائمة الصيت وليس هذا فحسب بل يظهر الصبي أيضا ، لأنه
ما كان لديهم أمر آخر يستدلون به عليه لذلك ظهر لهم بعد
خروجهم من اورشليم وما توقفت مسيره إلى أن وصل إلى المذور
حيث جاء ، ووقف فوق حيث كان الصبي .

فيالمعاجيب المولود ! بحرس يسجدون لطفل ونجم يقودهم !
لقد كانت رحلة مرفقة وعجيبة ! ولم يكن يمكننا بغير ذلك أن
نصدقوا ولا أن نطمئنا إلى أن هذا هو الملك ، ولو جاءهم صوت
ملاك من السماء .

ما الذي دفعهم للسجود ؟

لكنهم الآن رأوا ما هو أعظم من ملاك . . . - أجل
وجدوا المولود ذاته وقد استقر فوقه النجم دالا على أصله الإلهي
وباستقراره فوقه حفزهم على السجود له وتقديم الهدايا . . . لذلك :

فتعوا كنوزهم وقدموا هدايا

لقد قدموا إليه (ذهباً ولباباً ومرآ . . .) ولم يقل الكتاب

أنهم قدموا ثياباً فاخرة ولا أشياء من كل ما يهدى للسلوك مع
أنهم كانوا قادرين على ذلك !

يوضح الأبنا بولس البوشي ذلك قائلا :

انقدوا في انفسهم إن قيل الذهب فيكون هو ملكاً ، وإن
قيل اللبان فهو إله ، وإن قيل المر فهو علامة على أنه مزعم أن
يقابل الموت ويتحملة ثم يقره وذلك لأنهم سمعوا في الساموس
أن المسيح يبقى إلى الأبد (١) . . .

المجوس آباء الكنيسة ايرينايوس

يشرح في الذهب هؤلاء المجوس قائلا :

أنظروا إلى فضيلتهم : لقد أطاعوا ما رأوا ، وجاءوا من
بلاد بعيدة وليس هذا فحسب بل أنهم جاؤوا بما جاءوا لأجله
أيضاً قائلين ، جئنا للتعبد له . . . لم يخشوا أن يوصفوا بأنهم
أناس محتالون فلم يخافوا لا من سخط الشعب ولا من طغيان الملك ،
مع أنهم تجرأوا أن يخبروا أنه يوجد ملك آخر غير القسائم
حينذاك .

لذلك فأنى من هذه الجهة اعتقد أن هؤلاء الرجال قد صاروا في

(١) ربما سمعوا ذلك عن اليهود أو قرأوا نبوات عن المسيح في العهد
القديم وذلك مثل قول داود . . . مز ٤: ١١٠ . . .

أوطانهم مهلسين لاهل بلدهم لأنهم قد انفروا الرضى من الملك
وعرفوا شهادة الانبياء من اليهود كما رأوا المولود ذاته . . .

(وهذا يحول القديس كلامه لنقد أصحاب البدع التي ظهرت
حتى أيامه) فيقول : فليتأدب مركيون وليخبر بولس السموساطى
لأنهما لم يريدوا أن يريا ما رآه المجوس آباء الكنيسة الأولون ،
ولا أستحي أن ادعوم هكذا . . . فليخجل مركيون عند نظره
للأسماء معبوداً بالجسد وليستتر بولس حياً إذا ما رأى الطفل تقدم
له العبادة ليس كإنسان ، وليخجل اليهود مع هذين الرجلين عند
نظرهم إلى من يعبد البرابرة والمجوس وكان من اللائق أن يتقدم
اليهود إليه أولاً ، وما كان يجب أن يجيء إليه المجوس قبلهم
ولكنهم إذ رأوا ما صنعه المجوس أخيراً لم يتدمروا وأبوا أن
يسيروا في إثرهم مع أنه كان لهم أن يوقظهم كلام المجوس ولكن
يبدو أنهم تنقلوا نوماً في كبرياتهم وحسدكم وهذا لكي يتم
الكتاب القائل (أن الأمم سيقبضون هذا الشعب) .

سبلنا انه تنبصع المجوس . . .

فلتفت أثر المجوس الذين لو لم يأتوا من بلدكم البعيد لما
أبصروا المسيح - فهم لما كانوا في بلدكم أبصروا النجم ولما

أبتعدوا عن فارس أبصروا شمس البر ذاته . . . فلنقلع نحن عن
العوائد العالمية ولنقطع شوطاً بعيداً عنها لنبصر المسيح . وسها
لأعرض طريقنا ملوك أو شعوب أو طغاة فلا ينبغي أن نرجع
عن عزمنا مثلنا صنع الجحوس . . .

دعوة للتناول :

أترك يا أخى شعب اليهود وغادر المدينة المضطربة ودع
الطاغية الشرير مع اضطرابات العالم وبادر إلى بيت لحم بيت الحبز
الروحي الحقيقي . إن كنت راعياً فتعال إلى المغارة لرى الصبي
في المذود ، أو ملكاً فاترك برقيرك فلا يجدهك نقماً ، أو كنت
جورسياً فلا ينبغي أن يعوقك شيء إذا ما جئت لتقديم الإكرام
والعبادة . . . سوف لا تندوس ابن الله . . . إن فعلت ذلك
برهة وفرح . لكن لا حذر فقط أن نقتنى أثر هيرودس انقائل :
و اذهب أنا أيضاً وأجد له ، وهو يريد في قلبه أن يقتله ،
هكذا يصنع الذين يشركون في الأسرار بدون استحقاق .



مطبعة الكرنك
١٦٨٠ شارع بنان . ٢٢٩٨٠٥٠ ، بيروت